The Quarterly Journal of Lesān-E Mobeen
(*Research in Arabic Literature***)**
Vol. 10, New Series, No.35, Spring 2019

A Social Criticism Study of Women and Justice in the Two Novels of Naguib Mahfouz*

Parviz Ahmadzadeh Houch
Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Azarbaijan Shahid Madani University
Mohammad Pashaei
Assistant Professor, Department of Persian Language and Literature, Azarbaijan Shahid Madani University
Mohammadreza eslami
Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Azarbaijan Shahid Madani University

Abstract
This article investigated the social and political freedom in Najib Mahfuz novels. It should be pointed that, to the best knowledge of the researchers, no critical analysis has been conducted on this topic until now. However, some researchers studied his visualization and ideal embodiment in his novels since his thoughts and ideas are rooted in Islam. Moreover, he believes in religious freedom, democracy, and man and woman equality. The current study revealed that Najib's novels are real visualization of social justice and women in the society. Furthermore, he refers to woman as political and social criticism tool. Sense of determinism and obedience of divine destiny is one of the outstanding characteristics reflected in his novels. He believes that the clear judgment is divine decree not human desires and demands. It is always seen that his novels narrate absolute despotism that there is no hope and he considers everything is divine decree. Najib Mahfuz has visualized a woman fighting for liberty and equality, the woman who is the slave of sex, poverty, and ignorance. She makes effort to educate, work and fights against sexual violence. Najib Mahfuz employs exemplars of the failure of the scholars before revolution for fulfilling his goals. The rulers use religion as a tool for concealing their corruption and tyranny and he visualizes these images elegantly.

Keywords: Najib Mahfuz novels, social, justice, women

---

* –Received on: 10/04/2017 Accepted on: 27/09/2017
- Email: *ahmadzadeh1975@yahoo.com*
- DOI: 10.30479/lm.2019.1776
-© Imam Khomeini International University. All rights reserved.

فصليّة لسان مبين (پژوهش ادب عربي)
السنة العاشرة، المسلسل الجديد، العدد الخامس والثلاثون، ربيع ۱۳۹۸، ص ۲۰-۱

المرأة والعدالة في ظل النقد الاجتماعي لروايتي نجيب محفوظ

(ملحمة الحرافيش، وأولاد حارتنا)*

پرويز أحمدزاده هوج، أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الشهيد مدني بأذربيجان
محمد پاشايى، أستاذ مساعد، قسم اللغة الفارسية وآدابها، جامعة الشهيد مدني بأذربيجان
محمدرضا إسلامي، أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الشهيد مدني بأذربيجان

الملخص

إنّ الخطاب عن العدل والحرية هو إحدى القضايا التي طرحتها روايات محفوظ، وعلى هذا الأساس استطاعت رواياته أن تنفذ إلى أعماق المجتمع من حوله، فتعكس أبرز همومه وآماله وانكساراته الداخلية والخارجية، حيث صورت الروايتان قضايا كالحريات الاجتماعية وصراع المرأة من أجل الحريّة والمساواة، فأظهرت المرأة إمّا مهزومة أمام الوسائل المستخدمة لاستعبادها وتقييدها - وهي الجنس والفقر والجهل - أو ثائرة عليها؛ باللجوء إلى التعليم والعمل، ومحاربة نظرة الرجل الجنسية الخالصة لها. تناولت هذه الدراسة موضوع الحريّة السياسية والعدالة الاجتماعية في روايتي"ملحمة الحرافيش، وأولاد حارتنا" لنجيب محفوظ، ولوحظ أنها لم تحظ بدراسات نقدية تهتم بهذه القضية الإشكالية، مع أنها استطاعت تجسيدها، ووضع تصور لحل مثالي لها. اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال النظر في أحداث الروايتين ووصفهما، ثمّ بحث وسائل تصويرهما، وتحليل تقنيّات السرد المتّبعة فيهما. عرض نجيب محفوظ قضية العدالة السياسية والمرأة، وطالب بتحريرها وتعليمها، وكان لها ملامحها وخصوصيتها، واستطاع أن يجسد أحلامه من خلال إصراره على تفاصيل الحياة الاجتماعية، فصوّر شخصياتٍ ذات أبعادٍ إنسانيةٍ بقوتها وضعفها، وخوفها وانكسارها في المجتمع المصري، وعرض أشكالاً عديدة لانهزام المثقفين، مقابل أشكال ثوراتهم بهدف الحصول عليها، كما عرض سبل استغلال الدين من قبل السلطات الحاكمة؛ بهدف تضليل وعي الجماهير، والتكتيم على الفساد والظلم.

كلمات مفتاحيّة: نجيب محفوظ، حقوق المرأة، العدالة، المجتمع.

---

* - تأريخ الوصول: ۱۳۹۶/۰۱/۲۱ تأريخ القبول: ۱۳۹۶/۰۷/۰۵
- عنوان البريد الإلكتروني(للكاتب المسؤول): *ahmadzadeh1975@yahoo.com*
- شناسه ديجيتال (DOI):10.30479/lm.2019.1776

١-المقدمة

يعدّ الأدب من أهمّ المرايا للمجتمعات، فهو يراها، ويعكسها، ولذلك فإنّه يقوم بدورين مزدوجين: إذ يصوّر المجتمعات، ويعكس رؤاها الكائنة، وهو يصوّر تطلّعاتها، وما تطمح لأن يكون؛ وفي هذا الإطار تأتي روايات الكاتب المصريّ نجيب محفوظ، فهو يمثّل أهمّ مرآة للمجتع المصري في مرحلة مفصليّة من تاريخ مصر الحديث.

ونجح نجيب محفوظ عندما قام بتحقيق توازن أو تلاحم بين رؤيته الخاصة وواقعه العام، فإذا انفصل أحدهما عن الآخر لم ينجح العمل أو يلقي هجوماً كبيراً وهذا ما حدث بالضبط مع أولاد حارتنا وملحمة الحرافيش إذ يعدّ انفصالا تاما عن الواقع وتأملا خالصا وتعبيرا للبحث عن رؤيته الخاصة، فيحاول نجيب خلق التلاحم والتناسق بين فئات المجتمع، بتزويد الأفراد بأنصبة متساوية من الحظوظ والإمكانات ويعمل على تحرير المجتمع المصري والعالم العربي من التضييق العقلي والروحي ويسعى لتوفير مناخ من الحرية والديمقراطية يحافظ على كرامة الإنسان وينمي شخصيته.

وبناءً على هذه الفكرة كان لثورة يوليو أكبر الأثر في نفس محفوظ الفنان، فرحّب بـها، ورأى فيـها ثورة الأحلام: العدالة الاجتماعية، والكرامة الوطنية، والديموقراطية، وكانت الثورة قد قامت لتحقق أهدافاً ستة وهي: القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة المصريين، والقضاء علـى الإقطـاع، والقضـاء علـى الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم، وإقامة عدالة اجتماعية، وإقامة جيش وطني قوي، وإقامة حياة ديموقراطية سليمة. (أحمـد حمروش، د. ت، ص٣٥.) "فظن الرجـل أنّ قيـام الثورة أنهى كل الأسئلة، وأنه لم يعد لديه ما يقوله أو يكتبه، وأعلن ذلك فعلاً" . (جبريل، ١٩٩٣، ص٤٧.)

وقد حـاول محفـوظ تفسير فقدانه الدافع إلى الكتابة، وزهده فيها، زهاء خمس سنوات بعد قيام الثورة، فعزا ذلك إلى شعوره بتحقيق الثورة لأكـثر أحلامـه، وبإزالتها للمجتمع البالي الذي كان ينتقده، لكنّه نفسه لم يقتنع بتفسيره ذاك؛ لأن الواقع من حوله كان يناهضه. (فرج، ١٩٦٨، ص٧٦-٧٥)

وقد كانت ثورة يوليو نقطة تحول مهمة في تاريخ مصر الحديث، لا سيما أنّ مجيئها في وقتها كان استجابة طبيعية وملحة، لحلّ الأزمة التي كان يمر بها النظام الملكـيّ الحـاكم الـذي تعثـر في مواجهة مشكلتين رئيستين: وطنية واجتماعية، شغلتا أبناء مصر زمناً طويلا.

ومن ثم فقد تكشّف – على أرض الواقع – أنّ تلك الثورة كانت ثورة الثنائيات المتضـادة: الحلم والواقع، العدل والاستبداد، الكرامة والذل، الانتصار والهزيمة؛ لأنـها كـانت تبنـي بيـد، وتهدم بيد أخرى، لتكون بحق "تجربة سياسية حافلة بالأعمال والعـبر قدمـت مـن الخير ما لا ينسى ومن الشر ما لا يجوز أن ينسى". (محفوظ، ١٩٩٠، ص١٢٥.)

ويؤكّد محفوظ أنه لم يكن يوماً معـاديـاً للثـورة، ويقول في ذلك: "هنـاك فـرق بيـن معاداة الثورة ونقد الثورة؛ معاداة الثورة أن تأخذ منها موقفاً بعدم الحديث أو الإشارة عنها، سـواءً بخيرها أو شرها، وإذا استطعت أن تتحايل في الكتابة فيمكنك الكتابة رافضـاً لمبـادئ الثـورة، أمـا نقد الثورة فيعني أنك تنقد سلبياتها، وهذا معناه أنك ترشدها، وأنا كنت مـن النـوع النـاقد للثورة، فأنا موافق على مبادئها فيما عدا تأجيل الديموقراطية". (فوزي، ١٩٨٩، ص٩٧).

وقد لفت محفوظ النظر أكثر من مرة من خلال مقالاته – وفي رواياته كما سـنرى لاحقـاً – إلى أنّ تحقيق العدالة الاجتماعية لا يتعارض مع ممارسة الديمقراطية، والتنعم بالحريّة؛ " ففـي المجتمع العادل يجب أن تتكافأ الفرص، وأن يُفسح المجال أمام المواهب والاستعدادات ليأخذ كـل فرد موقعه الذي تؤهله له قدراته ومزاياه العقلية

والأخلاقية دون أي تحيّز أو جور، وقد يؤدّي الاجتهاد الحر العادل بالبعض إلى الثراء الحلال، فيحقّ له أن يستمتع بالحياة على نحو لا يتهيّأ للآخرين، ولكن لا يجوز أن يتخذ من ماله سبيلاً إلى استغلال الغير، أو الإضرار بهم، أو هضـم حقّ من حقوقهم. (المرجع السابق، ص١٣٥-١٣٦.)

وفي حين يؤكّد محفوظ رفضه مصادرة الحريّة والكرامة باسم العدالة، وباللجوء للقـهر والإرهاب الرسمي، كما حصل في الستينات، فإنّه في الوقت نفسه يؤكّد رفضه أن تكون الحريّة واحترام حقـوق الإنسـان ضربـات موجهـة نحو العدالة. (محفوظ، ١٩٩٦، ص١٤٦.)

وبهذا تشكلت أزمة جديدة، في ظلالها كانت الديمقراطيـة دعائيـة هلامية؛ فالعدالـة معدومـة، والحريّة استغلالية، تقتصر جدواها على أفراد من الشعب تباح لهم السـرقة، ويمنحـون فرصـة الاختلاس دون محاسبة. (المصدر نفسه، ص٧٤.)

وبهذا نجد أن روايتين (أولاد حارتنا وملحمة الحرافيش)، تحملان رؤية واعية ودقيقة للعلاقة الوطيدة ما بين قيمتي الحرية والعدالة. تعكس تلازمهما، وتزامنهما، وتؤكد أنه لا وجود لواحدة في غياب الأخرى، وأن تحقيقهما معاً لا بد أن يقوم على أساس روحي ومادي. يتصل الأول بالدين، وما يدعو إليه من حرية وعدالة، ومحبة وسلام، ويرتبط الثاني بالعلم الموجه نحو ما فيه الخير والأمن، والتقدم والكرامة لبني البشر.

ويلاحظ قارئ روايات محفوظ ولا سيما (أولاد حارتنا وملحمة الحرافيش)، أنّ رؤيته تلك تصير أعمق، وتأتي وثيقة الصلة بأبعاد الأحداث السياسية التي كانت تطرأ على مصر، وتؤثر في حياة أهلها فكرياً، واجتماعياً واقتصاديا.

يهدف هذا البحث للإجابة عن سؤالين: أوّلاً: ما دور ثقافة الكاتب في توظيف العدالة الاجتماعية السياسية والمرأة في رواياته؟ ثانياً: هل ينجح نجيب محفوظ في توضيح الظلم الواقع على المرأة وإظهار غياب العدالة الاجتماعية؟ وقد اعتمدت هذه الدراسة في خطتها على المنهج الوصفي التحليلي مستفيدةً من عمل الباحثين الذين تطرقوا إلى القضايا الاجتماعية ولاسيما العدالة والمرأة من خلال نثره.

١-١-خلفية البحث

عبّر نجيب محفوظ في رواياته المنشورة بفنية متميزة، عن أزمة الحريّة التي شهدها المجتمع المصري لسنوات عديدة، اختلّ فيها ميزان العدل المنشود، ويمثّل الذات الفردية المبدعة ويمثّل في الوقت نفسه الوعي الجمعي والشريحة الاجتماعية التي ينتمي إليها، وهذا من خلال قدرته الفنية البارعة واستطاعته صياغة هذه الرؤية فنياً وجمالياً.

واللافت للنظر هو أن روايات نجيب محفوظ ومثلها ثرثرة فوق النيل، وميرامار كانت جزءاً من نتاج محفوظ في الستينات، الأمر الذي سنح فرصة الدراسة والنقد، وذلك لأنّ الدراسات النقدية حول أدب محفوظ اهتمت بكتاباته، ومنها:

كتاب المرأة في أدب نجيب محفوظ، لفوزية العشماوي، وفيه ناقشت مع محفوظ شخصية سرحان البحيري في كتابها، ودراسة عبد المحسن طه بدر لنجيب محفوظ تحت عنوان"الرؤية والأداة" وفيها كشف عن رؤى محفوظ، وأدواته لتشكيل تلك الرؤى في أعماله الأولى بدءاً من كتابه المترجم مصر القديمة وصولاً إلى روايته بداية ونهاية ١٩٤٩، وكتاب فؤاد دوارة "نجيب محفوظ من القومية إلى العالمية"، وقد تضمّن مجموعة مقالات ودراسات حول أعمال نجيب محفوظ.

وأمّا دراسة رشيد العناني تحت عنوان"نجيب محفوظ قراءة ما بين السطور" ودراسة أحمد عطية تَمثّلَ زوايا جديدة لدراسة أدبه مرتبطاً بالثورة، وذلك في كتابه مع نجيب محفوظ، وأمّا كتاب لطيفة الزيات" الصورة والمثال" فيتضمن مقالات ويهتم برواياته من اللص والكلاب إلى ميرامار على ما عداها من حيث تطورها أسلوبياً. أما كتاب غالي شكري تحت عنوان" دراسة في أدب نجيب محفوظ" فتطرق إلى رواية ميرامار ومجموعته القصصية خمارة القط الأسود، وكانت قضية الانتماء هي المحور الفكري الذي دار حوله بحث شكري. وكذلك دراسة نجيب محفوظ: صفحات من مذكراته وأضواء على أدبه وحياته، لرجاء النقاش، ومقالة أزمة المرأة في عدد من قصص نجيب محفوظ، لحسين شمس آبادى وزملائه، وكتاب جدلية الحريّة والعدالة في روايات نجيب محفوظ لجمانة السالم، مقالة كشف المستور في المشهد النسوي في روايات نجيب محفوظ لجمانة السالم، وروايات نجيب محفوظ في ضوء النقد الاجتماعي مع عناية خاصة برواية أولاد حارتنا، لعبد القاسم ترابي وسيد حسين سيدي، ومقالة صدى المرأة في الأعمال النقدية الواقعية لنجيب محفوظ، لكبري روشنفكر وصلاح الدين عبدي.

وقد وردت آراء معينة لمحفوظ في عدد من مقالاته، أو تخلّلتها حـوارات أُجريت معــه -ولوحظ أنها طُرحت في رواياته - وهي تتعلق بقيمتي الحريّة والعدالة، وقد لفت البحث النظر إليـها، وكانت وراء اختياره دراسة سؤال (الحريّة والعدالة)، بوصفهما ثنائية فكرية فرضــت نفسـها على فكر محفوظ، فوجد أنّه لا يشير إلى واحدة منهما في معزل عن الأخرى.

فهذا البحث بصدد بسط الكلام في الحريّة السياسية والاجتماعية والمرأة في روايتين لنجيب محفوظ كما يصورها الأدب، وهو ميدان فسيح سيظلّ حقلاً لدراسات أدبية وفلسفية كثيرة، وقد لاحظ البحث أن لا أحد سبق وبحث هذه المواضيع في الروايتين المذكورتين أعلاه مستقلّة.

٢-حياة المحفوظ الأدبية

بدأ نجيب محفوظ حياته الأدبيّة بتأليف القصص التاريخيّة، وكانت هناك عوامل عدّة شدّته لانتهاج هذا الأسلوب، منها سيطرة فكرة إحياء الحضارة المصريّة القديمة على مخيلته وبيان الوقائع من رؤية تاريخية. ولا شكّ في أنّ مصر -بتاريخها المليء بالأحداث قديماً وحديثاً- كانت ملهماً خصباً للكاتب، حيث استطاع بكلّ مهارة ودقّة توظيف الرموز والأمثلة التاريخية لبلده في تصوير الوقائع السياسيّة والاجتماعيّة التي عاشتها مصر في فترة الاحتلال البريطانيّ والحكم الارستقراطي الذي كان سائداً آنذاك، وربما يرجع توظيفه للرمز التاريخي إلى أنّ المجتمع المصري في ذلك الوقت لم يكن مهيّئاً بعدُ لاستقبال أفكاره الجديدة، ولا شك في أنّ عجز الشعب عن مواجهة الحكم الملكيّ كان يزيد الأوضاع ضعفاً ووهناً.

وأبرز سمة تتجلّى في معظم كتابات نجيب محفوظ هي القدرية بمعنى الاستسلام والخضوع للمصير، إذ يعتقد محفوظ أنّ الكلمة الفصل في النهاية هي للقضاء والقدر وليس لأماني الإنسان ورغباته، لذلك نراه دوماً ينهي رواياته بحالة من الاستبداد المطلق لا يترك معها أيّ بَصيص للأمل في قلب المشاهد الذي يصبح فريسة للمصير والقدر.

يتبنّى الكاتب في جميع تلك الروايات رؤيةً اجتماعية تسلّط الضوء على الظروف الصعبة والقاسية التي عاشتها الطبقة المتوسطة من المجتمع المصريّ في تلك الفترة، ولا سيّما في السنوات التي توسّطت الحربين العالميّتين. ويُمكن القول بأنّ روايته المعروفة «زُقاق المَدَقّ» تمثّل ذروة أعماله الفنية وقمّة ازدهارها؛ إذ صوّر بصِدق وواقعيّة الواقع الاجتماعي اليومي لزقاق يُعرَف بـ«المدقّ»، والذي يرمز لبلده مصر، ويجسّد في هذه الرواية ـ

ونحن نقف في نتاج محفوظ على أدب ممثل للواقعية الفنية بكل أبعادها؛ (صالح، ١٩٧٤، ص١١-١٠)، فهو ينطلق من الواقع المحيط به، فيعيد رسمه بعد أن ينفعل به، ويتفاعل معه، ويعنى بالكشف عن متناقضاتـه، يثور عليها، أو يثير القرّاء ضدها، ثم يؤكّد غير مرة أنّ أعماله الروائية تكاد تنطق بـالمعتقدات التي آمن بها، ولازمته طوال حياته، وهي تتمثل في قيمتين استمسك بهما، وهمـا :الحريّة والديمقراطية، والعدالة الاجتماعية. (المصدر نفسه، ص١٦٨-١٦٩).

٣-الملامح العامة للعدالة السياسية والاجتماعية والمرأة في الروايتين لنجيب محفوظ:

فقد بدأ نجيب محفوظ حياته الأدبيّة بتأليف القصص التاريخيّة، وكانت هناك عوامل عدّة شدّته لانتهاج هذا الأسلوب، منها سيطرة فكرة إحياء الحضارة المصريّة القديمة على مخيلته وبيان الوقائع من رؤية تاريخية. ولا شكّ في أنّ مصر بتاريخها المليء بالأحداث قديماً وحديثاً، كانت ملهماً خصباً للكاتب، حيث استطاع بكلّ مهارة ودقّة توظيف الرموز والأمثلة التاريخية لبلده في تصوير الوقائع السياسيّة والاجتماعيّة التي عاشتها مصر في فترة الاحتلال البريطانيّ والحكم الارستقراطي الذي كان سائداً آنذاك.

ويمكن القول إنّ روايات محفوظ الصادرة ما بين عامي ١٩٥٩ إلى ١٩٨٩ كـانت ثمـرة معايشته لأحوال المجتمع المصري حقباً معينة؛ فجاءت ممثلة بحقّ لقيم الخمسينات والستينات الناصرية، ولقيم السبعينات الساداتية، تناقش القضايا التي أثيرت في تلك العقود الثلاثة ولم تمـح آثارها السنين، وتصور عالماً ظلّ دائماً وأبداً يبحث عن الحرية الفرديـة، والحريـة للأوطـان، والعدالة للناس جميعا. وفي هذا المقام تجدر الإشارة إلى أنّ نجيـب محفـوظ قـد "انطلـق بالموضوعات التي يعالجها بعد أن حقق للرواية كمال عناصرها الفنية من المسـتوى الإقليمـي المحلي الضيق إلى المستوى الإنساني الشامل". (سكاف، ١٩٩٠، ص٧٤ و٧٥و١٠٢). ومعنى ذلك أنّه حـرر المشـكلات المرتبطـة بالتاريخ المصري وبحركة المجتمع من حوله، من إطاريها الزماني والمكاني، وأكسـبها بفضـل رؤيته وبصيرته هوية إنسانيةً عامة وشاملة، وتلك هي غاية الفن كما يراها محفوظ، متمثلـة فـي "تقديم التجارب الإنسانية من وجهة نظر الفنان في صورة جمالية". (المصدر نفسه، ص١٥٣).

وكان محفوظ من البراعم التي تفتحت وسط لهيب الثورة، وفي سنوات اشتعالها، ثم حُلم ومعه كثيرون بأن تتحقق على يد زعيمها وحزبها أهم معاني الحرية السياسية، متمثلة في الاستقلال والتخلص من الاستعمار والاحتلال، (النقاش، ١٩٩٨، ص١٧١-١٧٢) وقد جسد ذلك بوضوح في ثلاثيته، من خلال شخصية (فهمي عبد الجواد) الذي كان بطلاً رئيساً من أبطال الدفاع عن حرية مصر واستقلالها، وخلاصها من سلطة الاحتلال.

فإن الصفحات الأولى من رواية (الباقي من الزمن ساعة) حملت رؤية ناقدة لانشغال الحكومات المصرية قبل ثورة يوليو بالقضايا الوطنية والسياسية، على حساب القضايا الاجتماعية والاقتصادية التي تهم المواطنين.

يؤكد ذلك تغير موقف محمد بن حامد برهان من حزبه الوفد؛ ورفضه" **أن يظل يدور معه حول الاستقلال والدستور في وقت كان فيه الغلاء يمشي في سبيله في بطء وثبات**". (المصدر نفسه: ص٣٥) وإثر تعلقه بجماعة الإخوان، بارك ثورة يوليو لدى قيامها، وأمل أن تحقق أهدافها الستة. أما أمّه سنية فقد تفاءلت بأن تعينها الثورة على تحقيق أملها في **ترميم بيتها وطلائه، وتجديد حديقته**، وهي الأمور التي طالما حلمت بها، "**لكن تفاقم سوء الحال، واستيعاب الغذاء والكساء لكل شيء كان يحول دون ذلك**". (المصدر نفسه: ص٣٧)

٣-١. صدى العدالة الاجتماعية والسياسية في أولاد حارتنا:

تجسد تجربة محفوظ الخاصة برواية (أولاد حارتنا) ١٩٥٩، صورة من صور قمع الحرية، كنتيجة حتمية لانعدام الحرية السياسية في عهد الثورة؛ الأمر الذي يجعلنا نسوغ لمحفوظ تأكيده الدائم على أنّ نقطة الخلاف بينه وبين ثورة ١٩٥٢، "هي ما يتعلق بموضوع الديمقراطية والحريات؛ فكل الموضوعات بخلاف ذلك قابلة للنقاش. (النقاش، ١٩٩٨، ص٢٠١).

وتبين لها بذلك معنى أن يصر محفوظ على أن (أولاد حارتنا) رواية أزمة، فقد أخذ الجدل يدور حولها منذ نشرت مسلسلة في جريدة الأهرام عام ١٩٥٩، وفهم منها أنها تعرض بالأنبياء. وبشأن ذلك أرسلت العرائض والشكاوى إلى النيابة العامة، وإلى رئاسة الجمهورية والأزهر تطالب بمنع هذه الرواية. (المصدر نفسه:١٤٣) وظلت لعنة هذه الرواية تلاحق كاتبها، حتى كانت أحد أهم أسباب تعرضه لمحاولة اغتيال عام ١٩٩٤، متهماً بالكفر والخروج عن الدين. (المصدر نفسه:١٦٦-١٧٣)

في الرواية التي وقعت في ٥٥٢ صفحة من القطع الكبير، تبين أن فكرة العدالة لا يمكن أن تُطرح بمعزل عن فكرة الحرية. والأصح أن نقرّ بأن العدالة لا يمكن أن تتحقّق في جو يفتقر إلى شكل من أشكال الحرية التي يمكن القول إنها تندرج كّلها تحت مفهوم الحرية السياسية (الفنجري، ١٩٧٣، ص٩).

فرواية أولاد حارتنا تصور حارة فيها وقف كبير، يغدق خيراتٍ وفيرة، يسعى للاستئثار بها طغاة ظالمون، يمثلهم نظّار الوقف وأتباعهم وحماتهم من الفتوات، وكان هؤلاء يعتمدون على قوة غشوم، تجعلهم يبطشون بكلّ من يفكر في المطالبة بحقه المشروع في هذا الوقف. وبين الحين والآخر كان يظهر من يدعو إلى الإصلاح والعدل، ويحاول تحقيق المساواة، وإعطاء كل ذي حقّ حقه من خيرات الوقف، مستعيناً بوسيلة محددة، تمكّنه من فعل ذلك كّله لمدة معينة، يستجمع خلالها أتباع الظّلم والطغيان قواهم ثانية، ويعودون إلى سابق عهدهم، قبل أن يتصدى لهم مصلح آخر، يستخدم لتحقيق هدفه وسيلة جديدة. وبذلك تظلّ دائرة الصراع مفتوحة؛ إذ تنتهي الرواية بالإشارة إلى أنّ الناس في الحارة" **تحملوا البغي في جلَد، ولاذوا بالصبر، واستمسكوا بالأمل، وكانوا كّلما أضر بهم العسف، قالوا: لا بد للظلم من آخر، ولليل من نهار، ولنرين في حارتنا مصرع الطغيان، ومشرق النور والعجائب**" (محفوظ، ١٩٨٦، ص ١١٢).

وفي القسم الأخير من أقسام الرواية، تطالعنا صورة عن قرب، للعالم المعاصر الذي نعيش فيه، ونحس بالشرور والمعاصي، وأشكال الظلم والطغيان تكتنفه. وقد قيل الكثير عما يحمله هذا القسم الموسوم بِـ (عرفة)، من مضامين ورؤى، (المرجع السابق، ٢٢٥ – ٢٤١) سنقف منها في هذا المقام على ما يخدم قضيتنا، ويكشف عن الحوار الذي أقامه محفوظ، أو تقيمه الطبيعة حسبما يرى محفوظ، بين العلم والدين، والحرية والعدالة.

ويلاحظ من ينعم النظر في مضمون الرواية، أنّ نهايتها تركت مفتوحة فنياً، لكنها كانت محسومة من حيث رؤية كاتبها إلى الطريق الموصلة حقاً للعدالة، وهي التي كُتب على الحارة أن تحرم منها، منذ **"لعب الطمع بقلب ناظر الوقف، فنزع إلى الاستئثار بالريع. بدأ بالمغالطة في الحساب، والتقتير في الأرزاق، ثم قبض يده مطمئناً إلى حماية فتوة الحارة الذي اشتراه. ...كان الفتوة وحده يعيش في بحبوحة ورفاهية، وفوق هذا الفتوة الأكبر، والناظر فوق الجميع، أما الأهالي فتحت الأقدام** (محفوظ، ١٩٨٦، ص ١١٢).

وقد ظهرت رؤية الكاتب تلك جلية واضحة، في المصير الذي كانت تؤول إليه الحارة وأهلها، حين كان يحكمها المصلحون، وذلك تبعاً للوسيلة التي استخدمها كل منهم في الإصلاح، وصولاً إلى الهدف الأسمى، وهو العدالة.

استعان(جبل) بالقوة، إذعاناً لمشوة الجبلاوي:" **بالقوة تهزمون البغي، وتأخذون الحق، وتحيَون الحياة الطيبة**". (المصدر نفسه، ص ١٧٨) لكنه تنبّه إلى أهمية الوحدة والتماسك والعمل في جماعة لضمان النجاح في مسعاه. وكان له ما أراد، بمعونة أهله من آل حمدان.

وبعد أن تسلم جبل حصة آلِه في الوقف، وزعها بالتساوي بينهم جميعا؛ فلم يخص نفسه بامتياز، على أساس أنه "**ما ينبغي لرئيس القوم أن يسرقهم**". . (المصدر نفسه، ص ٢٠٥) ورفض أن يمايز بينهم في الأنصبة؛ لئلا يجعل من الأسرة الواحدة **سادةً وخدماً**.

لكن ذلك لم يرق لهم، وتبين حينئذ أنّ عُقد السيادة والسلطة، بدأت تظهر بين أفراد آل حمدان أنفسهم، لدرجة أنّهم انقسموا أمام إحساسهم بالفوارق الطبقية فيما بينهم. دلت على ذلك موافقتهم على قول أحدهم: **جبل غير حمدان، وحمدان غير دِعبس، ...فينا صاحب القهوة، والبائع الجوال، والمتسول، فكيف تسوي بين هؤلاء!**". (المصدر نفسه، ص ٢٠٥)

ولما أظهر بعضهم استعداداً للاعتداء على الآخرين وإيذائهم، في سبيل العز والمال، أطلعهم جبل على حقيقة نفوسهم، وعلى ما يضمرون من ميل للظلم والطغيان، فقال: "**يا لكم من جبناء وأشرار، والله ما كرهتم الفتونة إلا لأنها كانت عليكم، وما إن يأنس أحدكم في نفسه قوة حتى يبادر إلى الظلم والعدوان، وما للشياطين المستترة في أعماقكم إلا الضرب بلا رحمة ولا هوادة، فإما النّظام وإما الهلاك**". . (المصدر نفسه، ص ٢٠٩)

وهكذا فإن من أراد أن يسود العدل بين محكوميه، لم يملك إلا أن يحكم بينهم بقوة، تحولت إلى قسوة، جعلتهم يرضخون عن خوف، ولكن لمن "**تعفف عن الفتونة، والبلطجة، والإثراء عن سبيل الإتاوة وتجارة المخدرات، ولبث بين آله مثالاً للعدل والقوة والنظام. . . حتى أنس إليه من استوحش، وأمن من خاف، ومال من جفا، وحرص الجميع على النظام، فلم يجاوز حدوده أحد، وسادت الاستقامة والأمان في أيامه**". . (محفوظ، ١٩٨٦، ص ٢١٠)

وهكذا، فإن آل حمدان تحرروا من ظلم الفتوات وقهرهم لهم، لكن التناقض ما بين حلمهم بالعدالة، وواقعهم الذي دلّ على حب الاستعلاء والسيادة؛ أدّى بهم إلى الرضوخ لحكم جبل بينهم، بقوة عادلة قاسية، تتلاءم مع ذلك التناقض في نفوسهم ولما كانت الحياة الجماعية الصحيحة لا تقوم بين الناس، إلا حينما يتقبلون بمحض حريتهم تلك الرابطة التي تجمع بينهم؛ فبمجرد أن غادر جبل الدنيا، عاد الظلم إلى الظهور ثانية، وبعنف أشد، فصار لا بد من مصلح جديد، وسلاح غير القوة.

حينما نصل إلى نهاية الرواية أكد الكاتب لنا أن العدل لا يمكن أن يتحقق في جو خنقت فيه الحرية؛ إذا استعنَا بالقوة وحدها، أو الحب وحده، أو حتى إذا اجتمعا معا، ولم نستعن في الوقت نفسه بالعلم سلاح العصر الحديث، على أن نحسن توجيهه واستخدامه، ليكون عوناً للدين على إقرار العدل والحق والكرامة؛" فالعلم المجرد من العاطفة، العاري عن الالتزام الديني والروحي المتمثل في الإيمان بعظمة الماضي، عظمة جبل ورفاعة وقاسم، هذا العلم غير بصير، علم مأزوم، علم مناهض لرسالة العلم الحقيقية، وهي إثراء حياة الناس بالخير والإيمان والعدالة، وترسيخ معنى حياة الجبلاوي، العلم الحق طريق إلى الإيمان، وفي خدمة الدين ورعايته أيضاً، وليس مجرد استمرار لأهدافه. (عبد الله، ٢٠٠١، ص٢٥٥)

فحين نقيم الرواية على الرمز، نجد أنّ الناظر والفتوات يرمزون إلى الحاكم وأعوانه، وأنّ أولاد الحارة يرمزون إلى أفراد الشعب، وعندئذ تكون رسالة محفوظ قد وصلت إلى كل فريق كما أراد لها الكاتب. (عبد الغني، ١٩٩٤،

ص٤٩-٧٠) وسنقف خلال حديثنا عن الثورة بوصفها الطريق الموصل للحرية والعدالة، على تفاصيل ذات صلة بدور الشعب، وبقدرته على أخذ حقوقه من الحاكم، إذا سعى لذلك، وأدى دوره كاملاً غير منقوص.

وبهذا نجد أن رواية "أولاد حارتنا"، تحمل رؤية واعية ودقيقة للعلاقة الوطيدة ما بين قيمتي الحرية والعدالة. تعكس تلازمهما، وتزامنهما، وتؤكد أنه لا وجود لواحدة في غياب الأخرى، وأن تحقيقهما معاً لا بد أن يقوم على أساس روحيّ ومادّيّ. يتصل الأوّل بالدين، وما يدعو إليه من حرية وعدالة، ومحبة وسلام، ويرتبط الثاني بالعلم الموجّه نحو ما فيه الخير والأمن، والتقدم والكرامة لبني البشر.

ويلاحظ قارئ روايات محفوظ الصادرة بعد أولاد حارتنا، أنّ رؤيته تلك تصير أعمق، وتأتي وثيقة الصلة بأبعاد الأحداث السياسية التي كانت تطرأ على مصر، وتؤثر في حياة أهلها فكرياً، واجتماعياً واقتصاديا.

وعلى تنوع معاني الحرية السياسية التي تطرحها تلك الروايات ألفيناها لا تخرج في إطارها العام عن المفهوم الشامل الذي تعبر عنه الحرية السياسية، مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالحرية الاجتماعية والاقتصادية والفكرية من جهة، ومؤثرة ومتأثرة بأحوال العدالة الاجتماعية من جهة أخرى.

أما رواية أولاد حارتنا فقد ظل البحث دائرا بين الحرية والعدل؛ فكان غياب الحرية السياسية سبباً رئيساً في فقدان الإحساس بالعدالة الاجتماعية؛ مما أدى إلى ظهور أشكال عديدة للفساد الذي نخر أركان المجتمع المصري، واستطاعت روايات محفوظ نقل صور واضحة له ومعبرة، باستخدام طرائق فنية متنوعة ومتحررة من كل قيد.

وفي روايات محفوظ تكررت الإشارة إلى ذلك الموضع من مواضع الخلل في تحقيق العدالة، وهو الذي أشرنا من قبل إلى أنه يترتب على انعدام الحرية السياسية، والخضوع لحكم استبدادي يحرم المواطنين من حقهم، في التعبير عن آرائهم، والمطالبة بحقوقهم، والشكوى من الظلم الواقع عليهم.

٣-٢. صدى العدالة الاجتماعية والسياسية في ملحمة الحرافيش:

أنّ الكاتب في روايته ملحمة الحرافيش الصادرة عام ١٩٧٧، رسم صورة أكثر وضوحاً وإشراقاً للثورة على الظلم والطغيان، تلاءمت مع قوله عن روايته هذه إنها تميزت عن روايات السبعينات، من حيث أنها جاءت " مليئة بالبهجة والإشراقات الروحية والفنية، وبعيدة عن جو الحزن والمشاكل. والتفسير الوحيد لذلك - يقول محفوظ - هو أنني كتبتها عقب انتصار أكتوبر ١٩٧٣، وكانت الأجواء في مصر وقتذاك توحي بالتفاؤل والأمل والإشراق". (النقاش، ١٩٩٨، ص٣٣٨)

في الحرافيش طرح محفوظ - من جديد - مشكلة العدالة الاجتماعية، في إطار محاولة دائبة من جهته لإيجاد حل لها. ولم يكن ذلك بمعزل عن مشكلة الحرية، وهي التي ظل الفتوات يقمعونها، ويحرمون الأفراد من حقهم فيها. والفتوة في روايات محفوظ "رمز للسلطة"، وهو القوة القادرة التي يدين لها الناس بالولاء، ولا يستطيعون الخروج عليها، أو على ما تفرضه من أفكار ومبادئ وقيم. وسواء أكان هذا الفتوة عادلاً أو ظالماً فهو الحاكم بأمره طالما كانت القوة في يديه، فإذا ما فقد القوة فقد معها سلطانه، وأصبح على الحرافيش أو الناس أن تنتظر فتوة جديداً يفرض عليهم قوته ونفوذه (المصدر نفسه، ص١٥٤).

ولم تختلف حال الفتوة في الحرافيش كثيراً عما كانت عليه في أولاد حارتنا؛ فقد بقت أداة للظلم، موجهة ضد أبناء الحارة، قبل أن يفطن عاشور بطل الحكاية الأولى من حكايات الرواية العشرة، وخالق أحداثها كلها؛ إلى قوته البدنية الفائقة، ويدرك أن استغلاله لها فيما ينفع الناس ويعينهم على أداء أعمالهم لا يكفي؛ ولكن الأهم هو أن يحارب بها

ظلم الظالمين. وقد حدث ذلك يوم تجرع عاشور مرارة الظلم، باكتشافه أنه ليس إلا ثمرة خطيئة، توارى إثرها الخطاة وتركوه يواجه الحياة وحده. (محفوظ، 1985، ص٢٠) لكنه أدرك أن الله رحمه بأن يسر له شيخاً كريماً التقطه من الطريق العام، وتكفل برعايته، ورباه تربية دينية فاضلة. وكان يراقب تعمُلقَ جسد عاشور وخشونته، فيدعو الله أن يجعل قوته في خدمة الله لا الشيطان، وليتحقق ذلك زرع في نفسه حب الخير للجميع.

لكن الناس لم يحفلوا كثيراً برفضه الانضمام إلى أفراد عصابة الفتوة الطّغاة، وظّلوا يسألونه " :**ماذا أفدنا من قوتك؟**" (المصدر نفسه، ص٢٨) وكان في السؤال لوم وتحريض فطن إليهما عاشور. ولما نجا من الوباء الذي قضى على جميع أهل الحارة، أتيح له أن يثري، لكنه استغل ذلك في الخير، وتمكن من بناء مدينة فاضلة، أقامها على أسس العدالة الاجتماعية التي كان يحلم بها. وعد عاشور فتوة الحارة الجديد؛ فهو سيدها ووجيهها، وحاميها، ومدبر أمر أهلها.

ويلاحظ قارئ الرواية أن فهم سعيد الخاطئ لمعنى الثورة وأهدافها تسبب في انحرافه عن الوجهة الصحيحة للقضاء على الظلم والفساد، وقد ترتبت على ذلك انحرافات كثيرة أدت بسعيد إلى السجن. وحين خرج منه اعتنق طريق الثورة من جديد، لكنها في هذه المرة أيضاً اتخذت طابع التمرد الفردي، فلم تستند إلى مبادئ إنسانية عامة أو ثوابت فكرية منطقية، وإنما انطلقت بدافع الحقد والرغبة في الانتقام للنفس، واعتمدت أسلوب القتل العشوائي الفوضوي الذي لم يكن يسقط سوى ضحايا أبرياء. وما جرى لسعيد إثر ذلك أكّد إدانة محفوظ للتمرد الفردي غير المنظم وللعنف الثوري؛ لأنهما لم يؤديا – ولن يؤديا – إلاّ إلى المزيد من الظلم والفساد.

فالفتونة التي كانت ترمز للظلم والجبروت، صارت بيد عاشور **الفتونة العادلة** التي ضمنت عملا للجميع؛ فهو لم يقتنع برعاية الفقراء والتصدق عليهم، لكنه " **كان يشتري الحمير ويسرح عليها العاطلين، أو يبتاع لمن يريد عملاً السلال والمقاطف وعربات اليد ...فلم يعد يوجد جائع ولا متعطل، ولم يفرض إتاوة إلا على الأعيان والقادرين لينفقها على الفقراء والعاجزين، وانتصر على فتوات الحارات المجاورة فأضفى على حارتنا مهابة لم تحظ بها من قبل، فحفّ بها الإجلال خارج الميدان، كما سعدت في داخلها بالعدل والكرامة والطمأنينة.** "(محفوظ، ١٩٨٥، ص٨٤)

ولم يعلن محفوظ موت عاشور النّاجي، ولكنه أعلن اختفاءه، وفي ذلك إشارة مبطّنة إلى إمكانية عودته، والأدقّ هو أنّ ما تحقّق على يديه سيعود في يوم من الأيام، وإن كُتب له الاختفاء زمناً.

ويلاحظ قارئ الحرافيش أنها تطرح فكرة هامة تتمثل في الربط بين حب العدل، والتعلق بالأماكن الملهمة الرامزة إلى عالم الغيب، والقوى الروحية غير المرئية الداعية بدورها إلى العدل والخير والصلاح. فعلى درب جديه عاشور الناجي وشمس الدين تعلق قلب فتح الباب بالتكية، وعشق أناشيدها، (المصدر نفسه، ص٩٨) وكان يستشعر وجود جده الناجي في الزاوية والسبيل، وفي ساحة التكية، ويتمنى في تلك اللحظات لو أنه يستطيع فعل شيء يرضي عنه جده، بشأن الحرافيش المظلومين " **ولكن من أين له القوة وهو رقيق كالخيال؟ من أين له القوة؟.** ، (المصدر نفسه، ص٤٩٣-٤٩٥)

ومن ينعم النظر في الرواية يلحظ إلحاحاً على الإشارة إلى خلل أصاب ثورة الحرافيش الأولى؛ لأنها – كما يبدو للقارئ – لم تكن منظمة أو مدروسة، كما أنها لم تكن ثورة حقيقية على ما في نفوس الحرافيش من استكانة وذلّ، والأهم من ذلك كله هو أنّ نتائجها لم تجد قوة حقيقية تتمكن من حمايتها؛ "لأن فتح الباب نفسه لم يكن يمتلك القوة الجبارة التي أخضع بها عاشور الناجي وشمس الدين أقرب المقربين إليهما من قبل؛ فتمكنا حينئذ من تحقيق العدل.

أما فتح الباب فقد آثر الانسحاب أمام قوة رجاله، لأنهم رفضوا إعادة سيرة الفتونة العادلة، وأصروا على التمتع بامتيازاتهم، والاستيلاء على نصيب من الإتاوة يكفل لهم حياة البطالة والبلطجة. وحتى يبقى فتح الباب الصورة والأمل ريثما ينسى الحرافيش هبتهم الجنونية"، (المصدر نفسه، ص٥٠٦) منعوه بالقوة من التخلي عن الفتونة، وحالوا بينه وبين الحرافيش مصدر قوته، فأسروه ومارسوا ضد الحرافيش الإرهاب والعنف. وكان فتح الباب " يعلم علم اليقين بأن حياته رهن بتحمس الحرافيش، وأنه سيتلاشى يوم تتلاشى أسطورتهم ويركبهم الهوان"، (المصدر نفسه، ص٥٠٧) فما لبث أن وُجد جثة مهشمة هامدة.

ومن خلال تقديمها صورة للسياسة التي انتهجها عاشور في حكمه للحرافيش، أكدت الرواية أن الحكم بين الخلائق يجب أن يكون حكماً عادلاً مستنداً إلى القوة، ومعتمداً على العمل في إطار الجماعة. وكان عاشور قد أعلن عن إيمانه بأن العدل خير دواء، وأنه يحب العدل أكثر مما يحب الحرافيش وأكثر مما يكره الأعيان. وعلى هذا الأساس"**سرعان ما ساوى في المعاملة بين الوجهاء والحرافيش، وفرض على الأعيان إتاوات ثقيلة...، وحّتم عاشور على الحرافيش أمرين :أن يدربوا أبناءهم على الفتونة حتى لا تهن قوتهم يوماً فيتسلط عليهم وغدٌ أو مغامر، وأن يتعيش كل منهم من حرفة أو عمل يقيمه لهم من الإتاوات، وبدأ بنفسه، فعمل في بيع الفاكهة، وأقام في شقة صغيرة مع أمه، وهكذا بعث عهد الفتوة البالغ أقصى درجات القوة، وأنقى درجات النقاء**". (المصدر نفسه، ص٥٦٠) ومعنى ذلك أن الاستعداد للثورة على أي شكل من أشكال الظلم يجب أن يظل قائما، وأن سياسة العدل والمساواة لا يفترض أنْ تفرق بين الحاكم والمحكوم.

وقد اهتمت الرواية بالإشارة إلى أنّ تحقيق العدل بين أفراد الشعب يمنح الحاكم فرصة الانصراف إلى شؤون التعمير والبناء، وتوفير ما ينهض بمستوى أولئك الأفراد، فقد "**جدد عاشور الزاوية، والسبيل، والحوض والكتاب، وأنشأ كُتّاباً جديداً ليتسع لأبناء الحرافيش**". (المصدر نفسه، ص٥٦٢) ويذكر في هذا المقام أن اهتمام عاشور بهذه الأماكن التي تحمل رموزاً دينية ارتبط بما عبرت عنه خاتمة الرواية، عندما أعلنت مباركة الدين لخطوات عاشور؛ ذلك أنه أحس لحظة انفرد بنفسه في ساحة التكية و"**كأنّ الأناشيد الغامضة تفصح عن أسرارها بألف لسان، وكأنما أدرك لِم ترنموا** – يعني المنشدين من رجال التكية – **طويلاً بالأعجمية وأغلقوا الأبواب**" (المصدر نفسه، ص٥٦٣).

والصور التي نقلتها روايات محفوظ لثائرين أخفقوا في تحقيق أهدافهم من الثورات التي أعلنوها، تفوق من حيث العدد والتنوع تلك التي التقطت لثورات نجحت في تحقيق أهدافها. ولذلك صلة على ما يبدو بالواقع المرير الذي عايشه الكاتب فوجد أنه يتطلب منا أن نكون أكثر يقظة وتنبهاً إلى أخطاء من حاولوا تصحيح أحواله ففشلوا لأسباب عديدة، أوقفتنا عليها رواياته؛ لنبدأ من حيث انتهى أولئك الثائرون، فنتمّ ما أمّلوا تحقيقه، متجنبين الوقوع في أخطائهم نفسها إذا ما أردنا لثوراتنا النجاح.

ومعنى أن يعول محفوظ على الثورة الجماعية الأخلاقية المنظمة في إحقاق الحقوق الإنسانية الشرعية كالحرية والعدالة، هو أنه يقلل من قيمة الثورات الفردية التي يواجه فيها فرد - وحده – ظلم السلطة الحاكمة أو أوضاع المجتمع السيئة؛ مدفوعاً برغبة شخصية في الانتقام، أو مستخدماً العنف الثوري الذي قد ينجم عنه ما يخالف المبادئ التي دعته إلى إعلان سخطه وثورته.

والصور التي نقلتها روايات محفوظ لثائرين أخفقوا في تحقيق أهدافهم من الثورات التي أعلنوها، تفوق من حيث العدد والتنوع تلك التي التقطت لثورات نجحت في تحقيق أهدافها.

٣-٣. تصوير المرأة في ظل العدالة الاجتماعية في الروايتين لنجيب محفوظ:

ويلاحظ قارئ رواية (ليالي ألف ليلة) أنّها تزخر بالصور الدالة على قناعة الكاتب بأنّ تولي مناصب في السلطة، ودخول منافذ إلى الحكم أمران محفوفان بالمزالق والمكاره، وموقعان في الفساد، ومسببان للظلم وللانحراف عن جادة الطريق في أغلب الأحيان.

دلّ على ذلك اضطرار السلطان حاكم المدينة التي صورَت لياليها في الرواية إلى تغيير رجالاته في أحد أحيائها أكثر من مرة؛ لثبوت إدانتهم - تباعاً - في استغلال السلطات التي كانت تمنحها لهم مناصبهم الهامة – كرئيس للحي أو قائد للشرطة – في تحقيق مصالحهم الشخصية على حساب المصلحة العامة، في صورة تدل بوضوح على انعدام العدل المترتب في أحايين كثيرة على فساد الحكم.

وقد شغلت قضايا المرأة حيزا كبيرا في روايات محفوظ الصادرة بين عامي ١٩٥٩ طرحت فيها ضمن محاور عديدة نوقش من خلالها المفهوم العام للحرية الاجتماعية التي طالب بها دعاة تحرير المرأة عبر العصور، قبل أن تفطن المرأة نفسها إلى أهمية الحصول عليها، فتسلك في سبيل ذلك سبلاً مختلفة. ويمكن لقارئ روايات محفوظ أن يقف على مضامين تلك المحاور المشار إليها تحت العناوين الرئيسة التالية: استخدم حد الجنس الأول ضد المرأة فكان طريقاً لاستعبادها واستغلالها. واستخدمت المرأة نفسها حده الثاني فثارت بوساطته على الواقع المزيّف الذي حاصرها، معتقدة أنها بذلك ستتحرر من قيوده التي طالما أخضعتها. وروايات محفوظ تقف بقارئها على صور عديدة تؤكد أن العلاقة الفطرية الطبيعية بين الرجل والمرأة استغلت استغلالاً بشعاً لدرجة صارت معها من أهم أسباب تقويض أركان المجتمع في حقب زمنية مختلفة، ولذلك دلالة قوية على أن محور الجنس في رواياته كانت له أبعاد سياسية. (علي حسن، ١٩٩٧، ص١٠٩)

ويمكن القول إن استغلال جسد المرأة والتعامل معها على أنها سلعة تباع وتشترى أو آلة تعمل فتغدق على مالكها الأموال؛ جسد صورة بشعة لسلبها حرية الإرادة في أن تنعم بما يمكن أن تمنحها إياه علاقتها الشرعية بالرجل من شعور بالأمن والاستقرار، وامتلاء بالعزة والكرامة، لتصير حينئذ قادرة على تربية الرجال، إسهاما منها في صنع الحضارة.

وهكذا، ففي أيام الاحتلال الإنجليزي لمصر لم يكن هناك ما يمنع المرأة من إدارة بيوت للبغاء التي أشرنا إليها بمهارة فائقة، كما ظهر في مرآة صبرية الحشمة التي كانت تدير واحدا منها حوالي عام ١٩٣٠. "**ولما قامت الحرب العظمى الثانية كانت بين أوائل المعلمات اللاتي استجبن للتطورات الطارئة فاستأجرت شقة كبيرة في شارع شامبليون، وخصصتها للدعارة السرية، ووسعت دائرة نشاطها ففتحت مشرباً للخمور بشارع الملكة نازلي، واستفادت أكبر استفادة من الترفيه عن جنود الإمبراطورية البريطانية**" (محفوظ، ١٩٨٠، ص١٠٧).

إنّ نجاح المستعمر في استعباد فئات من نساء البلد المستعمر – بتشجيعهن على الغرق في بحور الضياع، وجعلهن أداة طيعة في أيدي كثير من الرجال – تسبب في تعطيل دورهن الرئيسي المتمثل في تربية من يمكن أن يناهضوا الاستعمار ويدحروه. وتسبب من ناحية أخرى في مزيد من الاستعباد لأولئك الرجال الذين انشغلوا كلية بأمور الجنس التي كانت تستنزف قواهم الجسدية والنفسية اللازمة لمعركة التحرير.

ولم يكن ليحرر الرجل العربي من عقد التسلط والسيادة التي ظل يفرضها على المرأة متأثرا بتربية أسرية متزمتة، حرمت الجنس تحريماً مطلقاً، إلى درجة أقنعته بأن المرأة جسد وحسب، ؛ فصار حتى زمن قريب ينكر وجود عقلها ويتعامل معها على أساس أنها أداة تعمل متى أراد لإرضاء شهواته وإشباع غرائزه.

والأهم من ذلك هو أن تلك التربية فرقت بين المرأة والرجل تفريقاً كبيراً طال فيما طال العلاقة الجنسيّة بينهما، إذ فيها "يقع الغرم على المرأة دائماً. المرأة هي المذنبة أبداً. مذنبة إن استسلمت للإغراء قبل الزواج، ومذنبة إن هي حرمت المتعة برفقة زوجها، نظراً لما تعرض له جسدها من قمع، ومذنبة إن هي لم تنجب، ومذنبة إن لم تنجب الذكور..."(حجازى،١٩٧٦، ص٣١٦) وفي روايات محفوظ نقف على ما يؤكد ذلك؛ فبعد أن اتفق راوي المرايا، مع ثريا رأفت على الزواج – في أول عهده بالوظيفة عام ١٩٣٤ – اعترفت أمامه بأن شخصا ما كان قد خدعها وهي في سن البراءة، وحينئذ قال الراوي: "**بدت لي المشكلة عقدة غير قابلة للحل، تكشف حبي عن ولع عنيف ليس إلا، ...وكانت تلك الهفوة مما لا يغتفر على أيامنا. كنا نحارب طبقات كثيفة من الماضي العتيق كلما تلاشت طبقة برزت تحتها طبقة راسخة تتطلب المعاناة والعناء لقهرها. كان علينا أن نقطع خمسة قرون وستة في ربع قرن. حزنت وخاب أملي ولكن لم أشك لحظة أنّ ثريا قد خرجت من حياتي إلى الأبد**". (محفوظ، ١٩٨٠، ص٥٤)

في رواية المرايا عرضت صور لنساء متزوجات لم يجدن أي حرج في إقامة علاقات جنسية غير شرعية مع عدد من الرجال، غير مكترثات بأزواجهن وبما يفترض أن يسود علاقتهن بهم من طهارة ونقاء. وتمثل كل من عزيزة عبده ودرّية سالم نموذجا لأولئك النساء اللواتي اندفعن في طريق تأكيد الذات، والحصول على الحرية الفردية التي حرمن منها في ظل غياب الحرية الاجتماعية، وكانت كل منهما قد حاولت إقامة علاقة مع الراوي عام ١٩٦٠.

تعرضت أولاهما للظلم يوم "**سلّمت نفسها لأول شاب بادلها الحب وهي تظنه سيفي بوعوده**"، (المصدر نفسه، ص٢٣٤) وكانت الغلطة تلك وراء حياة حفلت بتسليم جسدها مراراً " **بدافع الثورة حيناً، وبدافع اللهو حينا آخر، وبدافع الحب في بعض الأحوال**" . لقد تأكدت عزيزة أنها لن تكون في نظر أي رجل سوى جسد وحسب، فاندفعت في طريق الانحراف متحدية واقعها الأليم الظالم بقولها " :**أنا لم ولن أمارس الخيانة ... كنت أشعر بالخوف أحياناً، ولكني لم أشعر بالندم قط... أصبحت سيدة نفسي، وتحديت العالم كله، بكل قيمه التي لم أعد أومن بها**" .

ولم تتوقف عزيزة عن مسلكها ذاك حتى بعد أن تزوجت وأنجبت، بل إنها أصرت وبكل جرأة على أن الاحتفاظ بثمرة إحدى علاقاتها الإباحية التي لم تتورع عن المجاهرة بها؛ لأنها لم تنعم بغيرة الزوج التي يمكن أن تصون المرأة في أحايين كثيرة من الانزلاق؛ فقد كان زوجها حاضر الجسد غائب الروح، ولم تكن له أي أهمية تذكر في هذا الموضوع. (محفوظ، ١٩٨٠، ص٢٣٥)

في روايات محفوظ عد الزواج قيداً للرجل وللمرأة على حد سواء. فبعد حياة ماجنة عابثة فكّر حمادة الحلواني – أحد أصدقاء (قشتمر) – بالزواج من فتاة أحس تجاهها بميل حقيقي لكنه تراجع في اللحظة الحاسمة، معللاً ذلك بقوله " :**أجل، لم يعد بيني وبين النهاية إلا خطوة. خطوة واحدة وأنتقل من حال إلى حال. من دنيا إلى دنيا. من فلسفة إلى فلسفة. وسرعان ما وجدتني على برزخ فاصل بين حلمي الطويل بالحرية المطلقة، وبين عاطفة طارئة مغرية تدعوني إلى العبودية**". (محفوظ، ١٩٨٩، ص٧١)

ولم يستغرب أصدقاء الحلواني انتصار حلمه على عاطفته؛ إذ "**ليس من اليسير أن يبيع حريته الطاغية، ويسلم قلبه وروحه للقيود الأبدية**"، (المصدر نفسه، ص٧٠) لا سيما وأن ظروفه المادية أعانته على إطلاق حريته بلا حدود. وأنه

في الوقت نفسه لم يكن يلقي بالاً للسياسة التي تدفع في كثير من الأحيان للحب الحقيقي، وللرغبة في الاستقرار بالزواج. وذلك يظهر في قول إسماعيل صديق الحلواني "**نحن نحب الحب ونرحب بنسائمه. علها تخفف من توتر جونا المشحون بنبوءات الحرب، ونذر السياسة، وعواصف الثقافة المفعمة بالمتعة الضارية، والشكوك العاتية** " (المصدر نفسه، ص٧٠).

وفي مشهد من مشاهد الحب تحت المطر، وهي الرواية التي رسمت صورة لحالة التخبط العامة التي أصابت الناس بعد هزيمة ١٩٦٧، وخلال سنوات حرب الاستنزاف؛ نقل حوار دار بين مجموعة شباب من أولئك الذين كانوا يتجمعون في النوادي والطرقات ليناقشوا هموم الوطن ومشكلاتهم داخل حدوده. وبسهولة ويسر يلحظ القارئ أن مشكلة الجنس كانت أهم محاور ذلك الحوار. وأنها ارتبطت إلى حد كبير بالمشكلات السياسة والاجتماعية التي كان الوطن يعاني منها آنذاك. فقد عزا بعض أولئك الشباب تفشي ظاهرة الزواج المبكر في تلك الأيام إلى الفقر من جهة، وإلى نظام الحكم من جهة ثانية. واقترح بعضهم الهجرة وسيلة لحلّ المشكلات الناجمة عن الزيادة السكانية، وبديلاً عن الزواج الذي عده آخرون بمثابة هجرة داخلية تبعدهم عن أجواء المشكلات المحيطة بهم. (محفوظ، ١٩٨٠، ص٤٠) أما مضامين الحوار الذي دار بين ثلاث فتيات في أحد مشاهد الرواية نفسها، فيقف بالقارئ على طبيعة التحرر الذي عاشته المرأة في تلك المرحلة. وقد أنشأ ذلك الحوار خبر إعلان – منى – قطع علاقتها بالخطيب المنتظر القاضي سالم علي؛ بعد أن اتهمته بسوء العقلية لأنّه قام بتحريات عنها – على حد تعبيرها – رافضة تماماً ما عدته صديقتاها سنية وعليات تقاليد راسخة في البلاد، يحتاج الرجال إلى ترويض للتخلي عنها، وليس إلى التحدي لأنهم معقدون. أما منى فقد أصرت على رأيها الذي واجهت به سالم علي بجرأة عالية، دلّ عليها قولها " :**قلت له لم لا تسعى إلى الزواج عن طريق خاطبة، وسألته عما يريد معرفته عنّي أكثر مما يمكن أن يعرف بالاتصال المباشر وبالحب المزعوم، ... وقلت له ماضي ملكي وحدي كما أن ماضيه ملكه وحده، وأنني أرفض كافة أنواع العبودية في أيّ زيّ تزيت، وبأي اسم تحّلت**" (المصدر نفسه، ص٤٩).

فبسبب التخبط النفسي الذي كانت تعيشه أولئك الفتيات؛ حفلت الحب تحت المطر بمفارقات عديدة، منها أنّ سنية عبرت عن حبها لمن يرغب في الزواج منها، مع أنها كانت تؤمن بأن فكرة الزواج تخنق المرأة. (المصدر نفسه، ص٢٨) **كذبة سخيفة أو جراحة دنيئة ... ! لا يمكن أن أتهاون في مبادئي وأخلاقي**" . (المصدر نفسه، ص٤٨-٥٠) وتبين بعد ذلك أنّ مبادئها تلك جعلتها لا تمارس الجنس إلاّ بدافع من الحب، وليس بدافع الحاجة كصديقتيها. (المصدر نفسه، ص٥٠) وحين سألت منى عليات عن درجة اطمئنانها إلى مستقبلها القائم على كذبة كبيرة، أجابت عليات بما عكس خوفها من مستقبل علاقتها بخطيبها فقالت:" **أحيانا أتذكر المصادفات المرعبة التي تقلب الأمور في السينما**" . (محفوظ، ١٩٨٠، ص٥١) وفي حياتها واجهت عليات ما صدق خوفها ذاك، إلا أنّ مشاهد الرواية التي صورت ذلك أكدت أنّ انحراف المرأة - وهي تسير في طريقها نحو تأكيد ذاتها وإثبات حريتها – كان في أحايين كثيرة بدافع الانتقام من ظلم الرجل لها. فقد أحست عليات بظلم كبير حين أعلن خطيبها فجأة اضطراره لإنهاء علاقته بها استعداداً للزواج من أخرى. وفي رد فعل غاضب يائس أتاح ماضيها له المجال، حملت عليات ثمرة لقاء بسائح أجنبي مجهول. وفي إطار محاولاتها لإخفاء الجريمة عرفت سمراء وجدي، وكانت حينئذ " **قوادة هاوية ... بيتها خلية للبنات، لها عليهن سيطرة أسطورية، وتسهر معهن في بيوت الأصدقاء، بدافع اللهو والعبث لا المال ...اوتقول ساخرة إنّ عصر البراءة قد زال مع الرجعية والإقطاع والاستعمار" !.** (محفوظ، ١٩٨٠، ص١٣٤-١٣٥) وبعد تلك الحادثة حاولت

سمراء إقامة علاقة آثمة شاذة مع عليات، وحين رفضت ذلك بإصرار كشفت سرها لوالدها الذي قتل سمراء خنقاً لحظة سمع ما قالته عن ابنته.

وتأكيداً لارتباط انحراف المرأة بظلم الرجل لها – في كثير من الأحيان – جاء في الرواية أن سمراء كانت عشيقة للمحامي حسن حمودة وأنه تخّلى عنها وهرب من حياتها إلى الأبد، بعد أن تلقت عنه رصاصة شوهت وجهها، أطلقها عليه خفير قصر عمها حين شعر به مرة يتسلل إليها فيه والناس نيام. ولم ينس المحامي أبداً أنه ظلم سمراء، (المصدر نفسه، ١٣٣) **لكنه ظل مصراً على أنّ تركه لها جاء على خلفية اكتشافه في لحظة معينة بأنه كان مجنوناً بالشباب، وبأنّ ما جمع بينهما كان لهواً لا حباً؛** (المصدر نفسه، ١٣٤) وهذا يؤكد أنّ أمر اختيار الزوجة المناسبة تظل له معاييره الخاصة.

تكررت الإشارة في روايات محفوظ إلى أنّ نظرة الرجل للمرأة تصير مختلفة إلى حد كبير إذا ما رغب في ارتباط شرعي حقيقي. دلّ على ذلك – مثلاً – قول مرزوق لعليات حين تقدم لخطبتها : **نحن نتحرك بدافع اللهو أكثر ثم يجيء وقت فلا يقنعنا إلا الحب الحقيقي".** (محفوظ، ١٩٨٠، ص٧)

ويتصل بذلك على نحو ما فشل الارتباط الشرعي بالمومسات كما صور في روايات محفوظ. فرواياته في مجملها تؤكد أنّ قرار الاقتران بالمومس لم يكن أمراً طبيعياً هيناً، وإنما ارتبط في أكثر الأحيان بظروف خاصة كانت تذهب عقل الرجل، فتدفعه - عناداً وانتقاماً- إلى قرار الزواج ذاك، وحين يفوق من سكرته، ويكتشف خطأه يقرر في الغالب تحرير نفسه بالطلاق.

في (الحب تحت المطر) ثار القاضي سالم علي على قرار خطيبته منى العمل في سلك التمثيل السينمائي، وعد ذلك بمثابة فضيحة تحول دون استمرار ارتباطهما. وفي لحظة سكرٍ شديد صارح راقصة مومسا برغبته في الزواج منها أملاً في الاستقرار. وبعد حين فاق من غفلته واستوعب خطأه، وفي سياق حوار دار بينه وبين منى وهو يحاول ثنيها عن الزواج من محام يكبرها حدثها عن تجربة زواجه بالمومس فقال " :**أقدمت على زواج كأنه أسلوب من أساليب الانتحار ...تعلمت عن تجربة أن أيّ تصرف مستهتر يمس حياتنا فهو يتمخض عادة عن كارثة ... لم ألق إلا العذاب حتى حررت نفسي بالطلاق ... انكشف زواجي عن لعبة سخيفة. أدركت أنني لا يمكن أن أواصل الحياة مع المرأة المسكينة ...إنها امرأة سيئة الحظ، أفسدتها حياة الليل وجففت ينابيع الإنسانية في قلبها، سلسلة متصلة من العادات الجهنمية، وإدمان على الأفيون".** (محفوظ، ١٩٨٠، ص١٢٠)

أما حلمي حمادة أحد أصدقاء قشتمر فحين بلغ الستين وكان الضجر من حياة اللهو والعبث قد أخذ منه كل مأخذ، فكر في الزواج لكن سمعته السيئة حالت دون القبول به زوجاً لفتاة مصونة من أسرة كريمة؛ فاختار للزواج امرأة محترفة "**في الحلقة الرابعة ... لم يفلح ثوب الزفاف في مداراة ابتذالها، ونطقت نظرة عينيها الثقيلة بالخبرة والمزاج**" (محفوظ، ١٩٨٩، ص١١٨). وخلال أيام شهر العسل حدث ما صدق توقعات أصدقائه باستحالة استمرار حياة شرعية زائفة لم تقم إلا على العناد والكبرياء؛ إذ لم تغير زوجته سلوك المرأة المحترفة، وتأكد له – بالتجربة - أن الاحتراف يقتل الإنسانية في قلب المرأة؛ فكان لا بد من الطلاق الذي كلفه الكثير. وقد فطن عثمان بيومي – بطل (حضرة المحترم)– إلى أن التفكير في طلاق زوجته المومس كان يعني"**الدخول في معركة حامية ربما انتهت بالقضاء عليه**"؛ (محفوظ، ١٩٨٣، ص١٦٩) فاختار الزواج عليها كحل بديل استسلمت له بقولها: **"لك العذر، أنا فاهمة كل شيء، إنك تريد ولداً، ولك الحق، ربنا يحقق رغبتك"** . (المصدر نفسه، ص١٩٧)

ومع أن قدرية لم تألَ جهداً في محاولة التكيف مع الحياة الجديدة بغية إسعاد زوجها، إلا أن الأيام كشفت عن "**بدائية تعسة، بلا خلق ولا دين ولا عقل ولا ذوق، عادت وبإصرار إلى الإفراط في الخمر والإدمان على الأفيون**" (المصدر نفسه، ص١٦٨). وقد يخيل لمن يكتفي بإلقاء نظرة سريعة على المشاهد التي أبرزت ظروف الارتباط الشرعي بالمومسات كما صورت في روايات لمحفوظ؛ أن الكاتب كان يعمد إلى تصوير شخصية المومس أو تقديم تحليل لها وحسب. مع أنه في الواقع أبرز لها أدواراً سياسية واجتماعية هامة، وعبر عن ذلك بطرائق فنية منوعة في عدد من رواياته. أنّ الكاتب صور من خلاله صورة مكثفة لأحوال اجتماعية سيئة عاشتها مصر أوائل الستينات ومثل لها بوضوح غرق أبنائها في مظاهر الانحلال الخلقي، وعدم قدرتهم على التخلص تماماً من ظلم الفوارق الطبقية؛ الأمر الذي شكّك في إمكانية أن تنعم مصر حقّاً بقيم الحرية والكرامة والسلام التي كانت تنشدها.

النتائج

اهتمّ نجيب محفوظ بالعدالة السياسية والمرأة اهتماماً كبيرًا وجسد ظروف وحركة الواقع في مجتمعه المتأزم في رواياته. وشغلت قضايا المرأة والعدالة الاجتماعية حيزا كبيرا في روايات محفوظ وقد طرحت فيها ضمن محاور عديدة نوقش من خلالها المفهوم العام للحرية الاجتماعية التي طالب بها دعاة تحرير المرأة عبر العصور.

إن روايات نجيب محفوظ ركزت اهتمامها على ذكر مشاكل الشريحة الاجتماعية وكانت أصداء للواقع بكل تطوراته وقد تكررت الإشارة إلى مواضع الخلل في تحقيق العدالة، ويترتب على انعدام الحرية السياسية، والخضوع لحكم استبدادي يحرم المواطنين من حقهم، في التعبير عن آرائهم، والمطالبة بحقوقهم، والشكوى من الظلم الواقع عليهم، وفيما يأتي أهمّ النتائج التي خرج بها البحث:

١- عبرت روايات محفوظ عن صراع الفئات الاجتماعية المختلفة، والصراع بين الشرائح، ومؤكدة أن العلاقة وثيقة جداً بين أنواع الحريّة المختلفة من جهة وبين العدالة الاجتماعية من جهة أخرى.

٢- كان تصويره للروايات ينطلق من قاعدتين أساسيتين: رؤيته الخاصة وطموحه الشخصي في إقامة مجتمع يتحقق فيه التعانق بين العلم والدين وينجح عندما يحقق التوازن أو التلاحم بين رؤيته الخاصة وواقعه العام، فإذا انفصل أحدهما عن الآخر.

٣-كانتا روايتيه أولاد حارتنا وملحمة الحرافيش بمثابة حلم كبير بالعدالة، تبين أنه عصي على التحقق في ظل أجواء القهر والعبودية، ومصادرة الحريات.

٤-إنّ رواية ملحمة الحرافيش ذات مستويات إنسانية وأخلاقية ونقداً للسلطة الجائرة والعقائد والأفكار الاجتماعية ويحاول نجيب أدبياً وخياليا إمكانية أن يعيد العدالة في التصرفات وسلوك المجتمع ويبحث نجيب في ملحمة الحرافيش عن العدل المطلق، والحرية المطلقة، والخبز المطلق.

٥- حمّل محفوظ العقل مسؤوليات كبيرة، ومنحه الدور الأكبر في مسألة البحث عن الحقوق الطبيعية في الحريّة والمرأة، وهي حقوق مفقودة على أرض الواقع، ويلاحظ أنها حاولت وضع حلول فكرية جذرية لتلك المشكلة.

٦- إنّ العدالة الاجتماعية والحرية الفردية كانت نقطة انطلاق في حياة نجيب محفوظ ونرى أن نجيب تعبّر بصدق عن موقفه السياسي والاجتماعي في الروايتين القيمتين.

٧- لم تختلف حال الفتوّة والمرأة في الحرافيش كثيراً عما كانت عليه في أولاد حارتنا وكشفت عنه روايتا أولاد حارتنا وملحمة الحرافيش، حول أهمية أن تكون الثورة جماعية منظمة، وتهدف إلى تغيير المجتمع تغييراً جذرياً يحوله إلى مجتمع آمن مستقر، ينعم أفراده بالحرية والعدالة الاجتماعية.

٨- قد اهتمت الروايتان بالإشارة إلى أنّ تحقيق العدل بين أفراد الشعب يمنح الحاكم فرصة الانصراف إلى شؤون التعمير والبناء، وتوفير ما ينهض بمستوى أولئك الأفراد.

المصادر

العربية

- إبراهيم زكريا(١٩٧٢)، **مشكلة الحرية**، ط٣، القاهرة: مكتبة مصر.
- إبراهيم السعافين(١٩٩٦)، **تحولات السرد**، ط١، عمان: دار الشروق.
- أسعد سكاف (١٩٩٠)، **الواقعية الروائية في أدب نجيب محفوظ**، بيروت مجلة الفكر العربي المعاصر، ع٧٤-٧٥.
- بدوي أحمد(١٩٨٢)، الفن الروائي من خلال تجاربهم، مجلة فصول، ع٢.
- بيومي مصطفى(٢٠٠١)، **أستاذ الجامعة في عالم نجيب محفوظ المرايا نموذجاً**، ط١، المنيا: دار الهدى للنشر والتوزيع.
- الجمل، شوقي الجمل وإبراهيم عبــد الله(١٩٩٧)، **تاريخ مصر المعاصر**، ط١، القاهرة: دار الثقافة.
- حجازي مصطفي(١٩٧٦)، **التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجيا الإنسان المقهور**، ط١، لبنان: معهد الإخاء العربي.
- حداد، نبيل(٢٠٠٣)، **نظرات في الرواية المصرية**، ط١، إربد: دار الكندي.
- حسن ديب علي(١٩٩٧)، **نجيب محفوظ بين الإلحاد والإيمان**، ط١، بيروت: المنارة.
- حسين حمدي(١٩٩٤)، **الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر١٩٦٥-١٩٧٥**، ط١، القاهرة، مكتبة الآداب.
- حمروش أحمد(١٩٨٥)، **ثورة يوليو وعقل مصر**، ط١، القاهرة: مكتبة مدبولي.
- دوارة، فؤاد(١٩٨٩)، **نجيب محفوظ من القومية إلى العالمية**، ط١، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الربيعي، محمود(١٩٩٧)، **قراءة الرواية نماذج من نجيب محفوظ**، ط١، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- رجاء النقاش(١٩٩٨)، **نجيب محفوظ /صفحات من مذكراته وأضواء جديدة على أدبه وحياته**، ط١، القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر.
- رشيد العناني(١٩٩٥)، **نجيب محفوظ قراءة بين السطور**، ط١، بيروت: دار الطليعة.
- سعد مصطفى كامل(١٩٩٠)، **تداعيات المكان والشكل في أدب نجيب محفوظ**، ط١، القاهرة: دار النديم.
- سلمان سعيد(٢٠٠٠)، **توظيف التراث في روايات نجيب محفوظ**، ط١، القاهرة: ايتراك للنشر والتوزيع.
- صالح سميع(١٩٨٨)، **أزمة الحرية السياسية في الوطن العربي**، ط١، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي.
- صالح عبد المطلب(١٩٧٤)، **دراسات في أدب الواقعية والواقعية الاشتراكية**، ط١، بيروت: دار الفارابي.

- عبد الرحمن أبو عوف(١٩٩١)، **الرؤى المتغيرة في روايات محفوظ**، ط١، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- عبد الرحمن أبو عوف(١٩٩٩)، **القمع في الخطاب الروائي العربي**، ط١، القاهرة: مركز القاهرة للدراسات حقوق الإنسان.
- عبد الوهاب الكيالي(١٩٨١)، **موسوعة السياسة**، ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- عطية، أحمد(١٩٧١)، مع نجيب محفوظ، ط١، دمشق: منشورات وزارة الثقافة.
- الفصيل، سمر روحي(١٩٩١)، **السجن السياسي في الروايي العربية**، ط٢، لبنان: جروس برس.
- الفنجري، أحمد شوقي(١٩٧٣)، **الحرية السياسية أولاً**، ط١، الكويت:دار القلم.
- الفنجري، أحمد شوقي(١٩٧٣)، **الحرية السياسيةفي الإسلام**، ط١، الكويت:دار القلم.
- فوزية العشماوي(٢٠٠٢)، **المرأة في أدب نجيب محفوظ**، ط١، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- فوزي محمد(١٩٨٩)، **نجيب محفوظ زعيم الحرافيش**، ط١، بيروت: دار الجيل.
- قسومة، الصادق(د. ت)، **النزعة الذهنية في رواية الشحاذ نجيب محفوظ**، ط٢) تونس: دار الجنوب منشر.
- القعيد يوسف(١٩٩٢)، **الحرية الممكنة الحرية المستحيلة**، مجلة فصول، ع٣.
- محمد جبريل(١٩٩٣)، **نجيب محفوظ/ صداقة جيلين**، كتابات نقدية ١٦، ط١، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- محمد حسن عبد الله(٢٠٠١)، **الإسلامية والروحية في أدب نجيب محفوظ**، ط١، القاهرة: دار القباء
- محمد سلام زغلول(١٩٧٣)، **دراسات في القصة العربيّة الحديثة**، ط١، القاهرة:منشأة المعارف.
- مصطفى عبد الغني(١٩٩٤)، **نجيب محفوظ /الثورة والتصوف**، ط١، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب
- نبيل راغب(١٩٧٥)، **قضية الشكل الفني عند نجيب محفوظ**، ط١، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- نبيل فرج(١٩٨٦)، **نجيب محفوظ حياته وأدبه(حوارات ولقاءات أجراها نبيل فرج مع نجيب محفوظ حول موضوعات مختلفة)**، ط١، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- نجيب محفوظ(١٩٦٦)، **حول العدل والعدالة**، أعده للنشر فتحي العشري، ط١، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
- نجيب محفوظ(١٩٩٠)، **حول الدين والديمقراطية**، أعده للنشر فتحي العشري، ط١، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
- نجيب محفوظ(١٩٨٦)، **حول التدين والتطرف**، أعده للنشر فتحي العشري، ط١، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.
- نجيب محفوظ(١٩٨٠)، **المرايا**، ط٥، القاهرة: دار مصر للطباعة.
- نجيب محفوظ(١٩٧٩)، **الميرامار**، ط٥، القاهرة: دار مصر للطباعة.
- نجيب محفوظ(١٩٨٧)، **ليالي ألف ليلة**، ط٣، القاهرة: دار مصر للطباعة.
- نجيب محفوظ(١٩٨٦)، **أولاد حارتنا**، ط٥، القاهرة: دار مصر للطباعة.
- نجيب محفوظ(١٩٨٠)، **اللص والكلاب**، ط٩، القاهرة: دار مصر للطباعة.
- نجيب محفوظ(١٩٨٥)، **السمان الخريف**، ط٩، القاهرة: دار مصر للطباعة.

- نجيب محفوظ(١٩٨٥)، **الشحاذ**، ط٨، القاهرة: دار مصر للطباعة.
- نجيب محفوظ(١٩٨٦)، **الكرنك**، ط٧، القاهرة: دار مصر للطباعة.
- نجيب محفوظ(١٩٨٧)، **ثرثرة فوق النيل**، ط٧، القاهرة: دار مصر للطباعة.
- نجيب محفوظ(١٩٨٩)، **قشتمر**، ط١، القاهرة: دار مصر للطباعة.
- نجيب محفوظ(١٩٨٧)، **أفراح القبة**، ط٣، القاهرة: دار مصر للطباعة.
- نجيب محفوظ(١٩٨٧)، **عصر الحب**، ط٢، القاهرة: دار مصر للطباعة.
- نجيب محفوظ(١٩٨٣)، **حضرة المحترم**، ط٤، القاهرة: دار مصر للطباعة.
- نجيب محفوظ(١٩٨١)، **قلب الليل**، ط٣، القاهرة: دار مصر للطباعة.
- نجيب محفوظ(١٩٨٦)، **حكايات حارتنا**، ط٦، القاهرة: دار مصر للطباعة.
- نجيب محفوظ (١٩٨٥)، **رحلة ابن فطومة**، ط٢، القاهرة: دار مصر للطباعة.
- نجيب محفوظ(١٩٨٠)، **الحب تحت المطر**، ط٤، القاهرة: دار مصر للطباعة.
- نجيب محفوظ(١٩٨٥)، **ملحمة الحرافيش**، ط٤، القاهرة: دار مصر للطباعة.
- نجيب محفوظ (١٩٨٥)، **الباقي من الزمن ساعة**، ط٢، القاهرة: دار مصر للطباعة.

فصلنامه لسان مبین (پژوهش ادب عربی)
سال دهم، دوره جدید، شماره سی و پنجم، بهار ۱۳۹۸

نقد اجتماعی رمان‌های ملحمة الحرافیش وأولاد حارتنا نجیب محفوظ با تکیه بر عدالت اجتماعی و زن *

پرویز احمدزادۀ هوچ، استادیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه شهید مدنی آذربایجان
محمد پاشایی، استادیار گروه زبان و ادبیات فارسی، دانشگاه شهید مدنی آذربایجان
محمد رضا اسلامی، استادیار گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه شهید مدنی آذربایجان

چکیده

این مقاله به موضوع آزادی سیاسی و اجتماعی در رمان نجیب محفوظ می پردازد شایان ذکر است که تا به امروز کسی به بررسی نقدی این موضوع نپرداخته ولی برخی توانسته اند تا حد امکان به تصویر پردازی و تجسم ایده آل وی در رمان هایش بپردازند چرا که سرمنشا تفکرات وی برآمده از دین اسلام بوده و به آزادی دینی و دموکراسی و برابری بین زن و مرد معتقد است.

این مقاله بیانگر این است که رمان های نجیب تصویرواقعی از عدالت اجتماعی و زنان در جامعه بوده و او از زن به عنوان ابزار نقد سیاسی و اجتماعی بهره مند می شود. برجسته ترین ویژگی منعکس شده در رمان های محفوظ حس جبری و تسلیم در مقابل سرنوشت الهی است، محفوظ معتقد است که فصل الخطاب همه چیز قضا و قدر الهی است نه تمایلات و مطالبات انسانی. همواره می بینیم که در رمان های نجیب محفوظ بوی استبداد مطلق به مشام مخاطب می رسد که هیچ امیدی روشن بخشی در آن به چشم نمی خورد و او با هنرمندی تمام همه چیز را به تقدیر الهی می سپارد.

نجیب محفوظ مبارزه زنان برای آزادی و برابری را به خوبی به تصویر کشیده زنی که برای جنس، فقر و جهل برده می شود وی در این راستا به آموزش و کار و مبارزه با ظلم جنسی مرد تلاش می کند.

نجیب محفوظ اشکالی از شکست روشنفکران در برابر انقلاب برای نیل به اهداف خود به کار میگیرد. حاکمان وقت برای سرپوش گذاشتن به ظلم و فساد خود از دین استفاده ابزاری می کنند و او این تصاویر را به زیبای تمام به تصویر می کشد.

کلمات کلیدی: نجیب محفوظ، حقوق زن، عدالت، جامعه.

---

* - تأریخ دریافت: ۱۳۹۶/۰۱/۲۱ تأریخ پذیرش نهایی: ۱۳۹۶/۰۷/۰۵
- نشانی پست الکترونیکی نویسنده(نویسنده مسئول): *ahmadzadeh1975@yahoo.com*
- - شناسه دیجیتال (DOI):10.30479/lm.2019.1776